الكوبالت القاتل

محمود سالم

الكوبالت القاتل

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

الكوبالت القاتل

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٣ ٢٩٧١ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ٢٠٠١.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
مطاردة مستحيلة!	١١
الانفجار الرهيب!	١٥
السيارة المجهولة!	١٩
العناية المركزة!	٢٣
المنظمة المشبوهة!	٢٧
اختطاف المصاب!	٣١
أشباح في المشرحة	٣٥
جثث هاربة!	٣٩
الاجتماع الأخير!	٤٣
نهاية العملية!	٤٧

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

مطاردة مستحيلة!

أسوأ مطاردة هي التي تستعين فيها بآلة ضخمة لمطاردة جسم صغير، وهذا ما جعل «أحمد» يغادر السيارة الثلاجة التي يقودها، ويتركها في أحد الشوارع ويقفز فوق دراجة بخارية كانت تقف على جانب الطريق، وينطلق بها مطاردًا رجل العصابة الذي اختفى تمامًا بدراجته البخارية. ولحسن حظه، كانت الدراجة حديثة وذات إمكانيات خارقة، فساعده ذلك على مسح كل الشوارع المحيطة به في زمن قصير.

حتى لمح مؤخِّرة دراجة رجل العصابة، وهي تغادر أحد الشوارع الرئيسية في اتجاه «كوبري أكتوبر».

فدار بالدراجة حول نفسه، ثم انطلق كالقذيفة في شارع موازٍ.

حتى وصل إلى مطلع «كوبري أكتوبر»، مع وصول رجل العصابة، فقطع عليه الطريق.

وفي الوقت الذي حاول فيه رجل العصابة الالتفاف حوله بالدراجة كان هو قد قفز من فوق دراجته. وقبل أن يستقر على الأرض، كان قد أطاح بالرجل الذي تطوح في الهواء، ثم سقط على الأرض، وعندما حاول الوقوف مرَّة أخرى انطلقت قدما أحمد كالصاروخ إلى كتفه، فصدمته بالأرض.

فلم يكرِّر المحاولة مرة أخرى.

وفي هذه اللحظة، مرقت سيارة طائشة بجوارهما، وقبل أن تعلو فوق مطلع الكوبري.

كانت دفعة رشاش قد خرجت منها، واستقرَّ معظمها في جسد الرجل، ولم تُصِب «أحمد» رصاصة واحدة، لأنه انبطح في سرعة ومهارة خلف الدراجة.

وما إن اطمأنَّ إلى ابتعاد السيارة حتى قام بالاتصال برجال البوليس، وطلب منهم القيام باللازم تجاه الرجل المصاب، والتحفُّظ عليه، وحراسته في المستشفى حراسة شديدة، لأنه رجل مطلوب من العصابة ومن المنظمة.

ثم انطلق بدراجته البخارية في أثر السيارة، وترك الدراجة الأخرى لرجال البوليس ليعيدوها من حيث أخذها.

وانطلق في أثر السيارة الطائشة التي بدَت عن بُعد مميزة في سرعتها الخارقة، وفي مظهرها الصاروخي، وفي حركتها المتعرِّجة، والتي يحاول بها قائدها تفادي السيارات المزدحمة فوق الكوبري، ممَّا أثار دهشته.

فرغم رغبته المحمومة في القبض عليهم، إلا أنه لم يمكنه إخفاء إعجابه بالسيارة وبقائدها، ووجد نفسه مدفوعًا لمنافسته مهارة بمهارة.

فطلب من الدراجة مزيدًا من السرعة، فلم تبخل، بل فاقت في سرعتها السيارة الطائشة.

وبمهارة المحترف تفادى كلَّ السيارات التي في طريقه.

غير أن الطريق توقَّفَ فجأة، ولم يعُد فيه مكان حتى لدراجة أطفال، فاضطر لصعود الرصيف، ومخالفة كل قواعد المرور للوصول إلى السيارة الطائشة.

وتحرَّك الطريق مرَّة أخرى، وانطلقت السيارات فوق الكوبري، وأصبح في سباق مع الزمن، فهل سيلحق بالسيارة أم لا؟

ودائمًا في الأوقات الحرجة تقع أحداث غير متوقَّعة، فقد أضاء ضوء أحمر في عداد الوقود، وهذا يعني أنه قارب على النفاد.

وفجأة، توتَّرَت أعصابه، وشعر أن صيده على وشك أن يفلت منه، ومن خلفه سمع سارينة سيارة شرطة، ونظر في المرآة فوجدها دراجة بخارية، يقودها أحد ضباط المرور.

فأشار له فاقترب منه حتى تجاوزا، فشرح له الأمر كله، ولم يتبقَّ غير الإثبات الرسمي، فأخرج له بطاقته الأمنية.

فنزل الضابط عن دراجته وقفز فوقها هو، وانطلق في أثر السيارة الطائشة.

كان الطريق على الكوبري مزدحمًا، فلم تستطع السيارة الابتعاد كثيرًا.

ودقَّ قلبه عندما اقترب منها حتى كاد أن يرى ما بداخلها.

فأخرج مسدسه استعدادًا للقبض عليهم.

واتصل في نفس الوقت بـ «عثمان»، طالبًا منه اللحاق به عند منزل «كوبري أكتوبر» الموصل إلى شارع «رمسيس».

فاتصل «عثمان» بمركز معلومات المقر، وطلب منهم إخباره بأقصر الطرق إلى ميدان رمسيس، وأقلها ازدحامًا، وبثها على كمبيوتر سيارته، ثم قفز داخل السيارة، وأدار محركها وانطلق مغادرًا جراج المقر، فحديقته.

ومن الباب الذي انفتح تلقائيًّا، غادرَ المقر إلى ميدان الرماية.

ثم انعطف في اتجاه طريق «الإسكندرية الصحراوي»، وقبل أن يبلغه انحرف إلى اليمين قليلًا حيث الطريق الدائري. فقد عرف من كمبيوتر السيارة أن هذا الطريق سيوصله إلى ميدان «رمسيس» في أقل من ربع الساعة.

وما إن أصبح على الطريق حتى قفز إلى ذهنه سؤال لم يسأله لنفسه منذ أن اتصل به «أحمد»، وهو: ماذا يحدث الآن في ميدان رمسيس حتى يطلب منه «أحمد» التوجُّه إلى هناك؟

وفتح هذا السؤال بابًا لأسئلة أخرى:

فماذا يفعل أحمد هناك؟

وهل هناك مهمة محددة لهما هناك؟

وما نوع هذه المهمة؟

وفكر أن يتصل به ليسأله كل تلك الأسئلة، غير أنه تراجع، فقد يكون موقفه غير مناسب لتلقِّي اتصالات من أي نوع.

وفي نفس الوقت، وعلى «كوبري أكتوبر»، كان أحمد يقترب في حذرٍ من السيارة الطائشة، محاولًا الحفاظ على مسافة مناسبة بينه وبينها، بحيث لا تغيب عن عينيه فتفلت منه، وفي نفس الوقت لا يراه مَن بها، فيشتبكون معه قبل حضور «عثمان».

وأثار حرج الموقف أعصابه، فقام بالاتصال به، فأجابه قائلًا: كنت سأتصل بك!

أحمد: أين أنت الآن؟

عثمان: أنا الآن فوق كوبري مايو.

أحمد: وأنا عند المنحنى الذي يعلو ميدان «عبد المنعم رياض».

عثمان: هل الموقف خطير؟

أحمد: إلى حدٍّ ما!

عثمان: هل هناك ما يهدِّد حياتك؟

أحمد: لا.

عثمان: إذَن فهي عملية جديدة؟

أحمد: نعم.

الانفجار الرهيب!

انطلقت السيارة بسرعة تخطَّت سرعتها العادية، وقطعت الطريق من ميدان «الرماية» حتى «كوبري أكتوبر» دون عوائق.

وكانت المفاجأة لـ «أحمد» أنْ رأى أمامه «عثمان»، ولم يمضِ على اتصاله به عشر دقائق، فحكى له الموضوع في سرعة، ثم أكملا سويًّا مطاردة السيارة الطائشة حتى كادا أن يصلا إليها.

غير أنها اصطدمت بسور الكوبري فجأة، ثم قفزت إلى الشارع وسط دهشة المارة، وحيرة «أحمد» و«عثمان» اللذان غادرا سيارتيهما، ووقفا يتابعان الموقف في ترقب، وانتظرا سماع انفجار السيارة من تأثير اصطدامها بالأرض.

غير أنها ما لامست عجلاتها الطريق العام حتى انطلقت في اتجاه المتحف المصري، وكأنها لم تسقط من ارتفاع ثلاثة طوابق، وهو ارتفاع الكوبري.

وكأن لها أجنحة حملتها إلى أن استقرت على أرض الطريق بسلام.

ولم يكُن أمامهما قرار يتخذانه غير تسلُّق أعمدة الإنارة والهبوط من فوق الكوبري حتى لامست قدماهما الأرض، فلم يجدا لها أثرًا.

فأوقفا أول تاكسي قابلهما، وأزاحا سائقه إلى الكرسي الخلفي، وانطلقا به في الاتجاه الذي سلكته السيارة الطائشة.

وقبل أن يصلوا إلى المتحف دوَّى صوت انفجار مروِّع، وتناثرت شظايا حديدية في الهواء.

ومن قلب دهشته قال «عثمان»: إنها السيارة الطائشة!

أحمد: وما سبب انفجارها؟

عثمان: قد يكونوا هم!

أحمد: تقصد أنها عملية انتحارية؟
عثمان: ولكن لم أرَ لهم أثرًا وسط حطام السيارة المتناثر!
أحمد: وأنا أيضًا!
عثمان: إذَن فقد فروا.
أحمد: وانفجرت السيارة بعد أن غادروها بفعل قنبلة زمنية.
عثمان: ألم ترَ منهم أحدًا؟
أحمد: لا، وكنت أود القبض عليهم داخل السيارة.
عثمان: أي إنك لا تعرفهم؟
أحمد: نعم.
عثمان: إذَن فليس أمامنا إلا العودة، فقد فشلت العملية.
أحمد: لم تفشل، فبين يدي حتى الآن رجلهم الذي في المستشفى.
عثمان: ولكنك تقول إن حالته خطيرة!
أحمد: ادْعُ معي أن نجده قد تحسَّن.
عثمان: وماذا ننتظر؟ اتصل بالمستشفى لتطمئن عليه!
أحمد: سأتصل أولًا بقسم «العجوزة» لأعرف أين هو.
عثمان: أكنتم في دائرة «قسم العجوزة»؟

وبالفعل، قام بالاتصال بـ «مستشفى العجوزة»، وعرف أن الرجل المصاب في غرفة العمليات، فحالته حرجة للغاية، فقد أصابت الرصاصات معظم أجزاء جسده، وأن غرفة العمليات تحت الحراسة المشددة …

وبالاتفاق مع «عثمان»، قام بالاتصال بـ «إلهام»، وطلب منها إبلاغ بقية الزملاء أن يستعدوا لعقد اجتماع عاجل، فقامت بتسجيل الأمر على الكمبيوتر.

وعلى شاشته ظهرت رسالة وبجوارها قائمة بأرقام تليفونات الشياطين المحمولة، فقامت بالمرور بالماوس على جميع الأرقام.

وعندما أخبرها الكمبيوتر أنه نفَّذ جميع المكالمات، كانت الاتصالات تنهال على المقر من الشياطين يتأكدون من ميعاد الاجتماع، ويسألون عن سببه، ومَن الذي أمر به.

وفي خلال ساعة، كان جراج المقر السري بالهرم قد استقبل سياراتهم جميعًا، وكانت قاعة الاجتماعات مضاءة الأنوار، وجميع مقاعدها الأمامية مشغولة بالشياطين.

ولم يتبقَّ غير «أحمد» و«عثمان».

وبعد مكالمة قصيرة في تليفونها المحمول، أمرت «إلهام» بإغلاق أنوار القاعة، وإضاءة شاشتها العملاقة.

وساد الصمت القاعة، وساد الشياطين الدهشة والترقب، وهم يرون على الشاشة وجه «أحمد» يحادثهم قائلًا: مساء الخير.

أحدِّثكم وبجواري الآن «عثمان».

وتوارى تدريجيًّا وجه «أحمد»، وظهر تدريجيًّا وجه «عثمان» يبتسم لهم، ثم عاد وجه «أحمد» مرة أخرى.

وهنا علَّق «مصباح»، قائلًا: إنها الكاميرا الخاصة بشاشة السيارة.

وقطع كلامه صوت «أحمد»، يقول: طبعًا تتساءلون: لمَ هذا الاجتماع؟ ولماذا لم أحضره شخصيًّا؟

إلهام: يكفينا أنك تحضره إلكترونيًّا.

أحمد: شكرًا يا «إلهام»! أمَّا لماذا هذا الاجتماع؟ فسأحكي لكم ما حدث بالضبط.

قرأتم طبعًا عن حادث إبرة «الكوبالت» المشع الذي عَثر عليها أحد المواطنين في قرية «ميت حلفا»، وقام بالاحتفاظ بها في منزله.

ريما: لقد تسبَّب في موته وموت ابنه!

مصباح: وبقية أولاده قد أصابتهم إصابات خطيرة.

إلهام: وأيضًا زوجته.

أحمد: لقد وصلت الإصابة إلى بعض الجيران.

وقد دفعني الفضول إلى تفقُّد موقع الحادث، وموقع العثور على هذه الإبرة المشعة، فرأيتُ في نفس القرية سيارة نصف نقل مغلقة الصندوق، والكابينة الأمامية مغلقة الزجاج، فظننتُ أنها مكيَّفة، ولكني عدتُ وتساءلت في دهشة: هل هناك سيارة نصف نقل مكيفة؟ ولماذا؟

وماذا تفعل سيارة مكيفة في قرية صغيرة كهذه؟ ومَن صاحبها؟

وقرَّرتُ الإجابة عن كل هذه الأسئلة، فغادرت سيارتي التي توقفت بها بعيدًا عن مكان الحادث، ورحت أحوم حول النصف نقل، وأتفحصها بعناية، فرأيت ما أكَّد شكوكي بأنها ليست سيارة عادية.

السيارة المجهولة!

كانت الكابينة التي يجلس بها السائق معزولة تمامًا عن الصندوق الخاص، وكان السائق يرتدي قفازات.

وعندما سألت عنه أحد شباب القرية، قال إنه يراه لأول مرة، وكذلك السيارة.

فطلبت منه أن يستطلع أمره ويخبرني، فظن أني من رجال المباحث.

لكنه لم يتحدَّث بظنونه لأحد، وعاد سريعًا ليخبرني في سعادة أنه استطاع كشف هوية هذا الرجل.

ولم يحتمل فضول «ريما» الانتظار فسألته قائلة: ومن كان هذا الرجل؟

أحمد: إنه مندوب إحدى شركات الأسمدة.

إلهام: وماذا يفعل في قرية صغيرة كهذه؟

أحمد: يقوم بتوصيل شحنة أسمدة وأعلاف للدواجن، مشاركة من الشركة للقرية.

رشيد: لتخفيف آثار المحنة؟!

أحمد: هكذا يقولون.

إلهام: هل آثار الأمر فضولك؟

أحمد: نعم، فطلبت من الشاب أن يأتيني بحفنة من السماد ومثلها من الأعلاف!

خالد: وهل أحضرها؟

أحمد: نعم، وقد كشفت عليها بجهاز الكاشف الموجود معي في السيارة، فوجدت أن بها نسبة خطيرة من أشعة «جاما» المدمرة للنخاع الشوكي والخلايا الحية.

ولم أنتبه إلا والسيارة النقل تنطلق، وسائقها يتحدَّث في المحمول ووجهه متجهم، وبالطبع انتظرت حتى ابتعد قليلًا، ثم انطلقت في أثره.

ريما: حتى لا يلاحظ أنك تراقبه؟

أحمد: ولكنه لاحظ.

مصباح: كيف؟

أحمد: لقد كان هناك مَن يتبعه عن بُعد راكبًا دراجة بخارية.

إلهام: لقد حسبوا حساب كل شيء.

بو عمير: إذَن فقد رأيت رجلين من رجالهم؟

أحمد: نعم، ولكن أحدهما مات.

بو عمير: كيف عرفت؟

أحمد: لقد تسببت في موته.

وهنا اندفعت «ريما» تسأله في لهفة قائلة: من منهما؟

أحمد: إنه سائق النصف نقل.

إلهام: وكيف تسببت في موته؟

أحمد: لقد عرف بمطاردتي له، وحاول الفرار، فلم أمكِّنه من ذلك، فاشتبك معي.

ريما: وسائق الدراجة البخارية؟

أحمد: إنه الرجل المصاب والموجود بالمستشفى الآن.

قيس: وهل إصابته نتيجة اشتباك معك أيضًا؟

أحمد: لا، لقد طاردته حتى «كوبري أكتوبر» بشارع «النيل» في «العجوزة»، وتمكَّنت منه.

ريما: ربما انتحر؟

أحمد: لا، بل أصابته دفعة رشاش سيارة مجهولة، فقمت بمطاردتها، ثم استعنت بـ «عثمان»، ولكنها انفجرت!

مصباح: ومات مَن فيها؟

أحمد: لا، بل لم يكُن بها أحد.

علَت همهمات الشياطين وتساؤلاتهم.

ولم يسمع غير صوت «إلهام» وهي تسأله قائلة: هل كانت تسير وحدها؟!

أحمد: لقد فروا قبل أن تنفجر.

رشيد: وكيف تركتهم يفرون؟!

أحمد: هذا ما حدث، وستعرفون التفاصيل في تقريري لكم.

خالد: والمطلوب منا؟

أحمد: حتى الآن لا أعرف سبب وجود هؤلاء الرجال في القرية، وفي هذه الظروف بالذات، ولماذا يقومون بتوزيع هذه الشحنة من الأسمدة والعلف أيضًا، ومع من يعملون، وإلى أي جهة ينتمون؟

إلهام: سنقوم بإعداد تقرير يشمل تحرياتنا وتصوراتنا.

أحمد: وسأتابع أنا حالة الرجل المصاب في المستشفى.

ريما: و«عثمان» ماذا سيفعل؟

عثمان: سأشجعكم وأتمنَّى لكم التوفيق.

ابتسم «أحمد»، وعلَّق قائلًا: «عثمان» عليه مهمة خطيرة.

إلهام: وما هي؟

أحمد: السيارة النصف نقل انقلبت على طريق القناطر وبها سائقها ...

وهنا قاطعه «قيس»، قائلًا: والمطلوب الكثير من التحريات عن السيارة وأوراقها من رخصة وأوراق ملكية.

أحمد: وأيضًا أوراق السائق وبطاقة هويته.

ريما: وسيحتاج «عثمان» للسيارة لكي يقوم بالمهمة.

أحمد: وستقومين أنت بإحضار سيارتي إلى مستشفى «العجوزة».

حقًّا كانت مفاجأة لـ «ريما»، ولكنها مفاجأة سارة، دفعتها لتنفيذ الأمر بمجرَّد سماعه.

فانطلقت إلى جراج المقر، وأخرجت سيارة «أحمد»، من بين سياراتهم.

ثم انطلقت تغادر الجراج ومن بعده حديقة المقر، ثم من البوابة الرئيسية انطلقت كالرصاصة عند خروجها من المسدس، وكلها حماس لاشتراكها المفاجئ في عملية لم يكُن أحد ينتظرها ... لقد اصطادها «أحمد» عندما شغلته هموم وطنه، فخرج يبحث عن الحقيقة ليساعد في الكشف عمَّن يعبث بأمنه، وأمن مواطنيه.

إن رقم «صفر» حتى الآن لا يعرف أنهم أصبحوا في داخل العملية.

انتهى طرف المحور، ووجدت «ريما» نفسها فجأة في ميدان «لبنان»، كيف؟ لا تدري، فذهنها مشغول.

وها هي تقترب من «مستشفى العجوزة».

وقبل أن تنحرف إلى بوابتها، قامت بالاتصال بـ «أحمد»، فوجدت المحمول لديه مغلقًا.

فتساءلت عن السبب في إغلاقه للتليفون ...

هل لأنه الآن في غرفة العمليات يطمئن على المصاب؟

إنه أقرب الاحتمالات حتى الآن، وعليها إثبات صدقه أو كذبه.

فتوجهت إلى بوابة المستشفى، وأخرجت بطاقتها الأمنية لرجل الأمن، فسمح لها بالمرور.

وتحت مظلة تصطف تحتها السيارات، أوقفت سيارتها، ثم قامت بالاتصال بـ «أحمد» مرة أخرى، فوجدت تليفونه مغلقًا.

فقامت بالاتصال به على ساعته، فلم تجاوبها أيضًا.

العناية المركزة!

لم توافق «إلهام» على أن يلحق أحد الشياطين بـ «ريما»، فحتى الآن لا يوجد ما يبرِّر ذلك.

وقد طلبت منها أن تبقى في مكانها انتظارًا لما ستسفر عنه اتصالاتهم به.

وكانت «ريما» قد اتصلت بالمقر تسأل عن «أحمد»، وتطلب الرأي من زملائها.

وفي رسغها شعرت بوخز من ساعة يدها الإلكترونية.

فضغطت زرًّا تحت شاشتها، وتلقَّت رسالة أسعدها جدًّا أنها من «أحمد».

وكانت تقول: بين يدي الآن صيد ثمين، ولن أستطيع محادثتك.

فقط أخبريني أين أنت؟

وبالطبع قامت بالرد على رسالته عبر ساعتها فقالت له: أنا في جراج المستشفى، أين أنت أيضًا؟

وانتظرت منه رد الرسالة، إلا أن الوقت طال ولم يجاوبها.

فأعادت إرسالها مرة أخرى، فلم يجاوبها، فانتابها القلق.

وقررت أن تقوم بالاتصال بالمقر لإخبارهم بما تم.

غير أنها رأت أن «أحمد» قد يتصل بها أثناء ذلك، وهذا ما حدث بالفعل.

فقد تلقت منه رسالة عبر ساعتها يقول فيها: توجهي إلى غرفة العناية المركزة، وراقبي ما يحدث بها.

أنا في المستشفى، انتظري مني اتصالًا تاليًا.

انتهت رسالة «أحمد»، وقبل أن تغادر السيارة قامت بالاتصال بـ «إلهام»، وطمأنتها على «أحمد»، ثم توجهت بعد أن أغلقت أبواب السيارة إلى مبنى المستشفى.

وقبل أن تبلغه، شعرت بأن هناك خطوات تحركت في الظلام، وتبعتها منذ غادرت السيارة.

ولم تلتفت خلفها حتى لا تُثير انتباهه، وواصلت السير حتى بلغت المصعد.

وقد كان الباب مفتوحًا، فدخلته ويدها على مؤخرة سلاحها، تحسبًا لانفراد أحد أفراد العصابة بها في المصعد.

غير أن بابه أُغلق، وتحرك بها صاعدًا قبل أن يلحق بها أحد.

ولم يكَد المصعد يتحرَّك حتى أوقفته، ثم ضغطت زر الهبوط، وعادت إلى الدور الأرضي مرة أخرى، وغادرته إلى السلم المجاور له، فصعدته مسرعة.

وما إن وطأت قدميها أرض الدور الأول، شعرت بأن نفس الأقدام تسير خلفها، فانحرفت يمينًا إلى غرفة ممرضات الدور الأول.

وما إن بلغت إحداها حتى شعرت بيدَين قويتَين تدفعانها دفعًا إلى داخل الغرفة، وقبل أن تصرخ كانت إحدى اليدين تسد فمها، والأخرى تقيدها.

وشعرت بعد ذلك بهواء يندفع في أذنها ليقول لها: أنا «أحمد».

أخذتها المفاجأة، فأطلق هو سراحها، وقبل أن تنطق بكلمة، وضع إصبعه على فمه قائلًا لها: هس!

فقالت بصوت خافت: أنت الذي كنت تطاردني؟

أحمد: هل سار خلفك أحد؟

ريما: من جراج المستشفى حتى المصعد.

أحمد: وهناك أكثر من رجل في الدور الموجود به الرجل المصاب.

ريما: لماذا لم تقبض عليهم؟

أحمد: بأي تهمة يا «ريما»؟

ريما: معك حق، ولكن أليس تواجدهم هنا غير مبرر؟

أحمد: تقصدين أن نقبض عليهم للتحري؟

ريما: نعم.

أحمد: لن نكسب من ذلك غير دفعهم لالتزام الحذر أكثر من الآن، وهذا ليس في صالحنا.

ريما: ولماذا هم هنا؟ ولماذا نحرس هذا الرجل؟

أحمد: هذا الرجل لديه معلومات خطيرة تهمنا وتضرهم.

ونحن نحرسه لأن من حاولوا قتله في المرة السابقة سيعيدون المحاولة مرة أخرى!

ريما: وأين هو الآن؟

أحمد: في غرفة العمليات.

ريما: حتى الآن؟

أحمد: إن جسمه به عدد رصاصات كبير.

والْتَفتَ «أحمد» إلى دولاب المرضات وهو يقول: طبعًا أنتِ تُجيدين التنكُّر؟

ريما: طبعًا!

أحمد: إذَن ارتدي ملابس إحدى المرضات، ودعينا نخرج من هنا.

ولاحظت «ريما» أنه يرتدي ملابس طبيب، فقالت له: هل هذا بالاتفاق مع إدارة المستشفى؟

أحمد: لا أحد هنا يعرف عني شيئًا غير مدير المستشفى، وقد أخبر الجميع بأنني الطبيب المرافق للحالة.

انتهى الكلام بينهما. وفتحت «ريما» الباب وخرجت، ومن خلفها «أحمد» يُسدي إليها النصح، وينبهها إلى خطورة حالة مريضه، وأن عليها ألا تفارقه.

وفي نهاية الطرقة وعندما أصبحا في مواجهة غرفة العمليات، كان الرجل المصاب قد خرج ممددًا على حافلة يدفعها ممرضان.

فاستوقفهما «أحمد» وسألهما قائلًا: هل حالته مستقرة؟

فرد أحدهما قائلًا: لا يا دكتور، حالته حرجة.

فوجدها فرصة أن يُقدم لهما «ريما»، قائلًا: هذه «نجوى»، ممرضة ممتازة، وهي المسئولة عن رعايته.

الرجل: أهلًا آنسة «نجوى»، سنعاونك قدر ما نستطيع.

ريما: أشكركم جميعًا.

وأكمل الرجلان دفع الحافلة إلى غرفة العناية المركزة، وخلفهما تسير «ريما».

وأمام الحافلة يسير شرطيان في يقظة وحذر شديدين.

وفي غرفة العناية المركزة قاما بنقل الرجل إلى سرير أُعد له خِصِّيصَى.

ولم يترك «أحمد» الغرفة إلا بعدما خرج الجميع عدا «ريما»، وقبل أن يتركها قال لها: لن يدخل أحد الغرفة هنا إلا بإذنك.

ريما: ولكني لا أعرفهم.

أحمد: كلما أراد أحد أن يدخل الغرفة عليك بالاتصال بي أولًا.

ريما: وكيف سأمنعهم؟

أحمد: أنتِ لن تمنعيهم، فهناك شرطيان واقفان بالباب.
ريما: وهل ستبلغهما؟
أحمد: بالطبع سأبلغهما.

المنظمة المشبوهة!

في المقر السري بالقرب من ميدان الرماية ... كان الشياطين يعملون في دأبٍ، ويسابقون الزمن في محاولةٍ لحلِّ لُغز العلف والسماد المُشع.

وقد طال بينهم النقاش ... واحتاج الأمر للاتصال برقم «صفر»، والذي رأى أن الموضوع يحتاج لعَقْد اجتماع عاجل.

ولأن المجموعة كلها كانت موجودة في غرفة المعلومات خلف أجهزة الكمبيوتر، فقد بدأ الاجتماع فور إعلان رقم «صفر»، عنه.

وملأت الخطوط البيانية المتراصة شاشات أجهزتهم.

وبدأت تتراقص عندما قال لهم: ألم تصلوا إلى شيء؟

إلهام: لقد راودني خاطر بأنهم أصحاب إبرة «الكوبالت المشع».

رقم «صفر»: لماذا؟

إلهام: لأنهم أصحاب السماد والعلف المشعين.

رقم «صفر»: لا أعتقد ذلك ... لأن أصحاب إبرة «الكوبالت» معروفون.

إلهام: هل تم تحديدهم؟

رقم «صفر»: نعم، وتم القبض عليهم.

خالد: أنا أعتقد أنهم جماعة يتبعون جهاز مخابرات دولة غير صديقة.

رقم «صفر»: ولماذا تظن ذلك؟

خالد: لأنهم ليسوا من رجال العصابة.

رقم «صفر»: وكيف عرفت؟

خالد: رجل العصابة يقصد بأعماله الربح ... فما الربح الذي سيجنونه من وراء القتل والتشويه؟

رقم «صفر»: استنتاج ممتاز.

رشيد: بذلك يكون هدفهم هو بث الرعب في نفوس أهل القرية ... عندما تكثر الوفيات، ويزيد عدد المشبوهين.

قيس: ويفقد الناس ثقتهم في قيادتهم أو حكومتهم التي قالت لهم إنها احتوت الموضوع كله.

هدى: ولن يبحث رجال الأمن عن الجناة، فلديهم جناة جاهزون.

رقم «صفر»: وتضيع معالم القضية، وتبقى الجريمة لغزًا بلا حل.

تحليل ممتاز ... وعليكم أن تدعموا زملاءكم، فالموضوع جد خطير ... وسأتدخل في الوقت المناسب.

كونوا على اتصال دائم بي، لكم تحياتي.

اختفت الخطوط البيانية على شاشات أجهزتهم، فأعطوها ظهورهم، وتوجهوا ينظرون لبعضهم مبتسمين، راضين عن النتيجة التي وصلوا إليها.

وكان عليهم الاتصال بـ «أحمد» و«ريما» و«عثمان» لإخبارهم بالنتيجة حتى يتخذوا حذرهم، فرجال المخابرات ليس لديهم قلب، ومصادر معلومات كثيرة، وهم يُجيدون فن تجنيد العملاء، ممَّا يجعل مهمة الشياطين محفوفة بالمخاطر.

وعندما انطلقت الموسيقى الرقيقة من تليفون «أحمد» المحمول ضغط زرًّا به، فظهرت له على شاشته رسالة من المقر، ولم يكن مضمونها مفاجأة له، فقد بنتيجة اجتماعهم مع رقم «صفر»، وكان هو قد توصل وحده إلى نفس النتيجة.

وقبل أن يغلق التليفون سمع أزيرًا مزعجًا يصدر منه، فخفت منه حِدَّة الصوت، وأنصت جيدًا ... وبكثير من التركيز عرف أن هناك جهازًا بالمستشفى يصدر ذبذبات ذات ترددات عالية تُصيب مَن يسمعها بالإجهاد الشديد، أما بالنسبة لمريض في غرفة العناية المركزة فقد تتسبَّب في موته.

فأغلق التليفون، وأدار جهاز التتبع في ساعته، وسار مستعينًا بالإشارة التي يصدرها حتى وصل إلى غرفة التحكُّم في مولدات الطاقة، فتوقف الجهاز عن العمل تمامًا.

فأعاد برمجة الجهاز مرة أخرى لكيلا يتبع الترددات التي تصدر من المولدات.

وعاد للجري بين الطرقات بحثًا عن مصدرها، فقد تتسبَّب هذه الترددات في موت الرجل المصاب قبل أن يصل إلى مصدرها.

وأثناء جريه شعر أن هناك مَن يُراقبه، فرأى أن يستفيد منه في الوصول إلى مصدر الذبذبات.

فأوحى له أن يحاول الفرار منه بالجري على سلم الصعود إلى الدور العلوي، فجرى خلفه.

فتوقف فجأة ودفع بقدمه إلى الخلف، فاصطدمت بوجه الرجل، وأفقدته توازنه، فترنَّح قبل أن يسقط على ظهره.

وقبل أن يفيق من الضربة كان «أحمد» واقفًا بقدمَيه على كتفَيه.

فصرخ من الألم وهو يقول: لماذا تضربني؟

أحمد: ولماذا تطاردني؟

الرجل: أنا لم أطاردك!

فضغط بإحدى قدمَيه على كتفه، وقال له أثناء صراخه: أنا كاذب.

الرجل: لا أقصد يا سيدي، ولكن لماذا سأطاردك؟

أحمد: هذا ما أُريد معرفته.

وعاد يضغط على كتفه مرة أخرى، ولكن بقوة أكثر، فصرخ الرجل وهو يقول: ماذا تريد معرفته؟

أحمد: أين مولد الذبذبات القاتل؟

الرجل: لا أعرف.

أحمد: إنه يؤدِّي إلى المشرحة.

ارتعد الرجل ولكنه عاد يقول في ثبات: لن تستطيع أن تقتلني، فصوت الطلقات سوف يلفت أنظار الجميع هنا إليك.

أحمد: مسدسي مزوَّد بكاتم الصوت.

قال هذا ثم أطلق طلقة مرَّت بجوار أذنه، فصرخ صرخة مروعة، ثم انتفض بقوة، وتوقف بعدها عن الحركة تمامًا.

فظنَّ «أحمد» أنه يمثل، غير أنه شعر بقدمَيه تنزلقان من فوق جسد الرجل، فعرف أنه أصبح جسدًا بلا روح، فصدمته الدهشة وتملكته الحيرة، وانحنى فوق الرجل يبحث عن الرصاصة التي أصابته، فلمح أثر الرصاصة على درج السلم، فعرف أنها لم تصبه، فحمله ونزل به السلم مسرعًا، وتوجَّه به إلى غرفة الطبيب النوبتجي، ثم عاد يجري إلى غرفة العناية المركزة ليطمئن على حالة المصاب، فلم يجد الشرطيين، فغرق فجأة في بحر

من علامات الاستفهام، وأخذ يسأل نفسه قائلًا: أين هما؟ هل مات الرجل؟ ولماذا لم تتصل بي «ريما»؟ وأين «ريما» الآن؟

وأخذت الأسئلة تتسارع على ذهنه، وخطواته تتسع، وأنفاسه تتلاحق، حتى وصل إلى باب غرفة العناية المركزة.

اختطاف المصاب!

بقوة فتح باب الغرفة، ودخل متلهفًا يسأل عن الرجل المصاب وعن «ريما»، فلم يجد أحدًا بالداخل، فخرج مسرعًا ينادي من بالطرقة، فخرجت له من باب جانبي إحدى الممرضات تسأله عمَّا يريد فقال لها: أين الشرطيان حارسا هذه الطرقة؟

الممرضة: لقد ذهبا معه؟

أحمد: مع مَن؟

الممرضة: حملته سيارة إسعاف هو وثلاثة رجال.

أحمد: والممرضة «نجوى».

الممرضة: كانت معهم هي والشرطيان.

وشعر «أحمد» أن في الأمر خدعة، فقام بالاتصال بالضابط المسئول، فعرف أنه لم يرسل أحدًا لأخذ الرجل، ولم يطلب منه أحد ذلك، ولم يعُد لديه غير الرجل الميت، وتمنَّى في هذه اللحظة ألا يجده قد مات.

فجرى إلى غرفة الطبيب التي تركه بها، فعرف أنه يعاني من هبوط حاد أدخله في غيبوبة.

فسأل الطبيب بلهفة: هل ستطول هذه الغيبوبة؟

الطبيب: لا أعتقد.

أحمد: ومتى يمكنني استجوابه؟

نظر الطبيب إلى أحمد متسائلًا، ثم قال له: هل هو مقبوض عليه؟

أحمد: نعم، وتحت الحراسة.

الطبيب: يمكنك استجوابه غدًا.

لم يكُن بوسع «أحمد» الانتظار، وشعر أن الوقت ليس في صالحهم.

غير أن وخزًا في رسغه أحدثته ساعة يده جعله يضغط زرًّا بالساعة، فعرف أنها رسالة من «ريما». تقول له فيها: نحن في الطريق إلى مكانٍ ما خارج «القاهرة».

انتظر مني اتصالًا ثانيًا ... «ريما».

وقبل أن يفرغ من تلقِّي الرسالة انطلقت الموسيقى من تليفونه المحمول، فضغط زرًّا به، فعرف أنه «عثمان»، فتحفز لمعرفة أخبار منه وعنه وقال له: أهلًا «عثمان» ... أين أنت؟

ومرَّت لحظات من الصمت قبل أن يأتيه صوت «عثمان» قائلًا: أهلًا «أحمد»، أنا في صحراء «وادي النطرون» على بُعد خمسين كيلومترًا من طريق الإسكندرية الصحراوي.

أحمد: وماذا تفعل هناك؟

عثمان: أنا محبوس داخل شحنة سماد مشع.

انزعج «أحمد» كثيرًا عندما سمع ما قاله، فهو يعرف أن المواد المشعة تؤدِّي إلى قتل مَن يتعرَّض لها بجرعات كبيرة، فقال له: ومَن الذي وضعك فيها؟

عثمان: إنها حكاية طويلة، المهم ما أخبار الرجل المصاب؟

أحمد: لقد تم اختطافه.

عثمان: لا تنزعج ... فلدينا الآن أكثر من رجل.

أحمد: أين؟

عثمان: هنا عندي.

أحمد: تقصد أن لديك موقعًا أيضًا؟

عثمان: نعم.

أحمد: ولكنهم أخذوا «ريما».

عثمان: متى؟

أحمد: منذ عدة دقائق.

عثمان: إذَن فهم في الطريق إلى هنا.

أحمد: هل تحتاج إليَّ؟

انقطع الخط في هذه اللحظة، ولم يسمع «أحمد» لسؤاله جوابًا، فكرَّر مرة أخرى قائلًا: هل تحتاج إليَّ يا «عثمان»؟ ... آلو ... آلو ... لماذا لا تجيب؟

كان الطبيب يتابع ما يحدث، فسأله قائلًا: هل الأمر خطير؟

أحمد: جدًّا.

الطبيب: وهل يتعلَّق بهذا الرجل؟

أحمد: ويتعلَّق بحادثة إبرة «الكوبالت المشع».

وحكى للطبيب عن شحنة السماد والعلف، فقال له: أنا أشك في أن هذا الرجل تعرَّض لجرعة إشعاع مدمر!

أحمد: وكيف عرفت؟

الطبيب: ظهرت عليه أعراض لم أستطع تفسيرها.

أحمد: لقد حملته بيدي.

الطبيب: لا تخف، فلن يؤذيك ذلك، المهم أن نتأكد من ظنوننا.

أحمد: كيف؟

الطبيب: سنجرى له بعض الفحوصات والتحاليل.

وهنا شعر «أحمد» بمدى الخطر المحيط بـ «ريما»، فقد يعرِّضونها هي الأخرى لأشعة «جاما».

وإذا حدث ذلك فسيفقدونها تمامًا.

لذا فقد تابع مع الطبيب لحظة بلحظة كل ما يجري من فحوص وتحاليل لرجل العصابة.

وقد كانت فحوصًا كثيرة وتحاليل معقَّدة.

وقد أرسلوا عيِّنات الفحص خارج المستشفى في أماكن متخصِّصة.

وأثناء ذلك شعر بوخز في رسغه من ساعة يده أكثر من مرَّة، فلم يستجب له، وانطلقت الموسيقى من تليفونه المحمول أيضًا أكثر من مرَّة ... فلم يستجب لها ... فقد كان مشغولًا للغاية بعملية الفحص.

قلقًا جدًّا لنتائجها، متمنيًا أن تأتي عكس ما توقَّع الطبيب.

وأصابه كل ذلك بالإجهاد، فجلس خلف مكتب الطبيب ليستريح.

وقد كانت الغرفة خالية تمامًا إلا منه هو.

ودخل عليه رجل ضخم الجثة يرتدي عفريتة زرقاء، فنظر له مليًّا، و«أحمد» يتعجَّب له، ثم قال له: تعالَ هنا.

وأغلق الرجل الباب بقوة، وعلا صوت خطواته تبتعد في سرعة.

أشباح في المشرحة

لم يفكِّر «أحمد» كثيرًا، فقد فتح الباب، وجرى في أثر الرجل متتبعًا خطواته، وكان الوقت ليلًا، وطرقات المستشفى خالية تمامًا، لذا كان من اليسير أن يتتبع الرجل.

وقد سمع وقْع خطواته على درجات السلم المؤدِّي للدور العلوي.

فانطلق كالصاروخ إلى هناك، وقفز صاعدًا درجات السلم في مهارة وخفة.

غير أنه لم يعُد يسمع وقْع أقدام الرجل.

فتوقَّف للحظات يُصيخ السمع، فعادت الخطوات للصعود مرَّة أخرى.

وسمع صوت باب يُفتح، فأسرع قبل أن يهرب منه الرجل، فرأى في نهاية الطرقة بابًا مفتوحًا، فجرى إليه، وقبل أن يبلغه دوَّى صوت انغلاقه، فبحث عن مقبض يفتح منه فلم يجد، فأخرج مسدسه وأطلق رصاصة على قفله ثم دفعه بقدمه، ودخل يجري متتبعًا الصوت.

فوجد يافطة مكتوبًا عليها «إلى الثلاجة»، ومرسومًا في أسفلها سهم.

فعرف أنه في المشرحة.

وعندما همَّ بالعودة لم يجد للباب طريقًا، أو لم يجد الباب.

فلم يشأ أن يضيع وقته في البحث عن الباب، ومشى بهدوء وخفة يبحث عن الرجل الضخم ذي العفريتة الزرقاء.

وكأن الرجل قد اطمأنَّ لعدم سماع خطوات «أحمد»، أو أن الفضول غلبه فعاد يبحث عنه، وما إنْ لمحه «أحمد» حتى أخرج مسدسه وقال له: لا تتحرك.

إلا أن الرجل اختفى.

وانفتح باب إحدى الثلاجات، ثم عاد وانغلق مرَّة أخرى وحده.

ودفع الفضول «أحمد» لأن يرى ما بهذه الثلاجة.

فذهب إليها على مهل وفي خشوع، فمَن بها موتى، ضحايا حوادث، أو أمراض.

وقام بفتح نفس الثلاجة فرأى الرجل ذا العفريتة الزرقاء ممدًّا ليس في وجهه حياة.

أصابت الدهشة «أحمد»، وشعر أن الإجهاد تملك منه، وأن ما يراه غير حقيقي، وأنها أوهام من صنع عقله المجهد.

فتراجع بخطوات بطيئة حتى بلغ الباب، فخرج منه بظهره، وظلَّ هكذا ماشيًا بظهره حتى توقف فجأة متسائلًا في دهشة: فها هو الباب الذي كان يبحث عنه فلم يجده قد عثر عليه دون معاناة، بل ووجده مفتوحًا.

وفجأة، تذكر مريض الغيبوبة، ونتائج الفحوص التي تجرى له، فجرى يقطع الطريق قفزًا حتى وصل إلى غرفة الطبيب، فوجدها مزدحمة برجال الأمن ومدير المستشفى وبعض الأطباء والممرضات.

وعندما رآه الطبيب أشار عليه بسبابته، فشهر رَجُلا شرطة مسدسيهما في وجهه.

فرفع يدَيه مستسلمًا لهما.

فقال له الطبيب في حدة: أين الرجل؟

أحمد: أي رجل؟

فالْتَفتَ الطبيب إلى كبير الضباط يحكي له قائلًا: لقد قال لي إنه ضابط شرطة، وأن هذا الرجل مقبوض عليه.

وحكى له عن عملية توزيع أسمدة ملوثة إشعاعيًّا، وقال لي إن هذا الرجل مصاب.

أحمد: أنا لم أُقل لك إنني ضابط شرطة، بل أنت الذي استنتجت ذلك.

وموضوع الأسمدة المشعة حقيقي.

كبير الضباط: إذَن، من أنت؟

فأخرج له «أحمد» بطاقته الأمنية، فنظر فيها الضابط مليًّا ثم سأله قائلًا: وأين كنت الآن؟

أحمد: كنت أطارد رجلًا ضخمًا شكله مريب.

الضابط: وأين هو؟

أحمد: في ثلاجة المشرحة.

شعر «أحمد» أن الجميع ينظرون إليه ربية، وتأكَّد من ذلك عندما سأله الضابط قائلًا: منذ متى وأنت هنا؟

أحمد: منذ الصباح.

الضابط: ومنذ متى لم تنم؟

أحمد: صدقني سيادة الضابط، أنا لا أهذي.

الضابط: وكيف أصدقك؟

أحمد: لا زالت آثار رصاصتي على الباب، والرجل الضخم الذي ينام بملابسه في الثلاجة.

الضابط: سأذهب معك إلى هناك لأرى بنفسي.

واصطحب الضابط «أحمد» إلى المشرحة، ومعه بعض الجنود، فوجد بابها بالفعل مفتوحًا، وقفله مكسورًا، فتهلل «أحمد» لذلك.

وعندما توجَّهوا إلى الثلاجة ازدادت ضربات قلبه.

وتوقف الضابط ينظر له منتظرًا منه أن يفتح بابها.

فمدَّ «أحمد» يده في تردُّد، وفتح الدرج الذي ينام به الرجل الضخم، ثم سحبه.

فوجده فارغًا، فندت عنه آهة دهشة، واندفع يقول: لقد كان نائمًا هنا.

الضابط: هل كان مصابًا؟

أحمد: لا.

الضابط: ولِمَ ينام هنا وهو غير مصاب؟

لمعت عينا «أحمد» ونظر إلى الضابط للحظات ثم قال ببطء: سيدي الضابط ... لقد تعرَّضتُ لخدعة.

الضابط: هكذا يمكنني أن أصدقك، ولكن كيف عرفت ذلك؟

أحمد: في المرَّة الأولى كنا نحرس مصابًا منهم، واستدرجني أحدهم لمطاردته، وعندما عدت وجدت المصاب اختفى.

الضابط: وهذا هو المصاب الثاني لهم.

أحمد: نعم.

الضابط: ولم اختطفوه؟!

أحمد: لأنه تعرَّض لجرعات قاتلة من أشعة «جاما».

الضابط: وخافوا أن نكتشف ذلك؟

أحمد: نعم.

الضابط: أليس لديكم أية بيانات عن هذا الرجل؟

أحمد: أعتقد أن طبيبه المعالج لديه شيء من ذلك، وعندما وصلوا إلى هذه النتيجة كانوا قد وصلوا إلى غرفة الطبيب.

إلا أنه لم يكُن موجودًا، وعندما بحثوا عنه لم يجدوه.

جثث هاربة!

انتشر الضابط والجنود في أرجاء المستشفى، فلم يجدوا للطبيب أثرًا، واكتشفوا ضياع نتائج الفحوص والتحاليل التي أجريت لمريض الغيبوبة.

فتأكد الضابط من كلام «أحمد»، وأنه لم يكُن يهذي.

وشعر بخطورة المنظمة التي يواجهونها، فسأله قائلًا: ألسنا طرفًا في هذه القضية؟

أحمد: طبعًا، ولكن تتبع القضية إلى هذا الحد بدأ بمجهود شخصي.

الضابط: بمَن؟

أحمد: مني؟

الضابط: وهل لي أن أتدخَّل الآن أم ستبلغ إدارتك أولًا؟

أحمد: لا، فعملية البحث عمَّن اختفوا يجب أن تتم ببلاغ رسمي من مدير المستشفى.

الضابط: ومنك.

أحمد: لا، فأنا لي إدارتي التي سأبلغها.

الضابط: وأنا يسرني أن أتعاون معك.

أحمد: وأنا أيضًا يُسعدني ذلك.

الضابط: ومن أين ستبدأ؟

أحمد: من مخازن المستشفى ومطابخها.

الضابط: أتظن أنهم لم يخرجوا من المستشفى؟

أحمد: كيف ورجالك يسدون عليهم كل المنافذ؟

الضابط: معك حق، إذَن سأصدر أوامر بالتفتيش.

أحمد: لا ... فقد يتسبَّب ذلك في فوضى وخسائر، ووقوع ضحايا.

الضابط: وماذا ترى؟

أحمد: سنتسلَّل أنا وأنت في هدوء أولًا إلى غرفة الغسيل.

الضابط: وسأنشر رجالي بين الأبواب ليرقبوا الحركة بين الطرقات.

أحمد: جيد جدًّا.

وهنا شعر بوخز في رسغه من ساعة يده، فضغط زرًّا بها، والضابط ينظر له.

فابتسم له «أحمد» حتى يتركه وشأنه، فأشاح عنه بوجهه، وانشغل عنه بشرح الموقف لمرءوسيه، وتوزيع الأدوار عليهم.

وأثناء ذلك، تلقَّى «أحمد» الرسالة التالية: من «إلهام».

القطة هربت، ولكنها ليست بعيدة عن جحر الفئران. الأمر خطير.

فرد عليها قائلًا: «عثمان» في وادي النطرون، وأعتقد أن هذا موقعك.

فقالت رسالتها ردًّا عليه: سأحاول الاتصال به.

وعندما فرغ من اتصاله الْتَفتَ للضابط فوجده منصرفًا عنه إلى رجاله.

فقال له: لقد انتهيت.

الضابط: وهل هناك أخبار جيدة؟

أحمد: نحتاج لبعض الوقت.

الضابط: إذَن هيا بنا.

بدَّل «أحمد» والضابط ملابسهما، وارتديا ملابس العاملين في المستشفى.

وبدلًا من التوجُّه إلى غرفة الغسيل كما اتفقا افترق «أحمد» عن الضابط، وجرى يصعد السلم ممَّا أثار دهشته، فجرى خلفه، وهو لا يدري عمَّا يحدث شيئًا، ولم يتوقَّف إلا عند غرفة المشرحة.

وبدأ يتلصَّص في هدوء وكأنه يعرف أن هناك شيئًا ما يجري بداخلها.

وانبطح على بطنه، وبدأ يزحف كالجنود في أرض المعركة، ومن خلفه ينظر الضابط إليه في إعجاب وتقدير.

وخلف مكتب طبيب المشرحة اختبأ كلٌّ منهما، وحبسا أنفاسهما، فقد سمعا صوت همس وهسهسة.

وبعد قليل، شاهدا رجلين يخرجان من خلف الثلاجة، وخرج خلفهما الضابط يتعقبهما في خفة، أما «أحمد» فقد خرج من خلف المكتب وفتح أدراج الثلاجة، واكتشف ضياع أكثر من جثة، فشغله الأمر، فهل هي قضية سرقة جثث لبيعها؟ أم خوف من فحص كل الجثث الموجودة؟ فقد تكون الوفاة بسبب الإشعاع!

ولم يشعر «أحمد» بالوقت إلا عندما سمع خطوات الرجلين وقد تجاوزا باب المشرحة، وأصبحا على وشك القبض عليه.

ففتح درجًا من أدراج الثلاجة، ثم تمدَّد بداخله، وبيديه دفع نفسه حتى قام بإغلاق الدرج.

وكان الجو بداخله باردًا جدًّا، وشعر بأطرافه تكاد تتجمد، وسمع صوت جريان أدراج الثلاجة ما بين فتح وإغلاق، وانتظر أن يسمع وقْع خطواتهما تبتعد، غير أنهما قررا أن يستريحا بعض الوقت.

إنه حقًّا لا يسمع لهما صوتًا، ولكن هذا لا يعني أنهما خرجا.

وعليه أن ينتظر حتى يشعر بوقْع خطواتهما تهز أدراج الثلاجة.

إلا أنه لم يكُن قرارًا صائبًا، فقد تتجمَّد أطرافه، وقد يُصاب بالتهاب رئوي من تأثير البرد ... لذا، فقد قام بفتح الدرج بنفس الطريقة التي أغلقه بها.

وبصعوبة شديدة استطاع أن يخرج منه.

وأول ما وقعت عليه عيناه، كان الرجلان يحملقان فيه في خوف وفزع.

وما كاد ينتصب واقفًا حتى أسلما ساقَيهما للريح، ومن خلفهما «أحمد».

وعندما يئسا من الهروب منه أخذا يصرخان في هلع.

فصرخ فيهما قائلًا: توقفا.

فوقفا يرتعدان، وقال أحدهما: مَن أنت؟

أحمد: أنت لا تسأل.

جزع الرجل وتمنَّى لو يستطيع أن يجري أو يصرخ طلبًا للنجدة.

فقال لهما «أحمد»: مَن أنتما؟

فقال أحدهما: أنا «نجدي» أعمل هنا تومارجيًّا.

فصاح «أحمد» في الآخَر قائلًا: وأنت؟

وفي جزع ولعثمة قال: أنا «سيد»، وأعمل في المستشفى.

أحمد: أنت كاذب، ولا تعمل في المستشفى.

الرجل: وهل تعرفني؟

أحمد: نعم.

الاجتماع الأخير!

شعرت «ريما» أن حركة غير عادية قد دبَّت في المكان، وأن رجال المنظمة المشبوهة بدءوا في تدمير محتوياته، وتلغيم أركانه، وزرع قنابل ذات أجهزة تحكُّم عن بُعد في أماكن خفية، فاستنتجت أن «أحمد» قد استطاع الوصول لهم، ولذلك فإنهم ينوون الرحيل، أو على الأقل تغيير مكان نشاطهم.

ومن خارج المقر، شعر «عثمان» أيضًا بأن شيئًا غير عادي يدور، وأحسَّ بوخز في رسغه من ساعة يده، فضغط زرًّا بها، وقرأ رسالة من «ريما» تقول فيها: أنا داخل المقر الآن، الفئران في حالة فزع، ويستعدون للرحيل.

المكان مزروع بالألغام والقنابل، ماذا يحدث عندك؟

وبمجرد أن انتهت من إرسال رسالتها حتى شعرَت بوخز في رسغها، فعرفَت أنه رد الرسالة، فضغطت زرًّا وقرأت: الكثير من السيارات «اللاندروفر» تحيط بالمكان، وهناك سيارة مصفحة.

أشعر أن الرحيل قد حان، وأن وقت القبض عليهم قد حلَّ.

فردَّت «ريما» على رسالته قائلة: أرجو الاتصال بـ «أحمد» أو بالمقر، وعقد اجتماع عاجل لاتخاذ القرار المناسب.

وفي الوقت الذي تلقَّى فيه «أحمد» اتصال «عثمان» تلقَّت «إلهام» نفس الاتصال.

وتم عقد اجتماع بين الشياطين عرض فيه «عثمان» الموقف كاملًا، وكذلك «أحمد» الذي قال: أنا أرى أن كل رجال هذه المنظمة المشبوهة تحت أيدينا الآن، وأن القبض عليهم هو نهاية العملية.

إلهام: يجب أن نترك أحدهم حرًّا، ولكن تحت سيطرتنا.

عثمان: تقصدين استخدامه كدليل؟

إلهام: نعم للوصول إلى الرأس الكبير.
أحمد: الرأس الكبير غير موجود في مصر.
إلهام: كيف عرفت؟
أحمد: إنه استنتاج منطقي، وأنا واثق.
إلهام: والموقف عندك؟
أحمد: لقد تم القبض على أربعة عناصر من هذه المنظمة.
إلهام: إذَن تبقى «ريما» و«عثمان»، وهما يحتاجان لإمدادات الآن.
أحمد: سآتي إليك، وسنقلع بطائرة من هضبة الأهرامات.
إلهام: هل أطلبها الآن من القيادة؟
أحمد: سأتصل بهم الآن، وعليك أنت بالاستعداد والتوجُّه إلى هناك.
وأثناء استعداد «إلهام» للقيام بالمهمة كان «أحمد» يجري اتصالًا بقيادة المنظمة، وقام بشرح الموقف كاملًا، فطلبوا منه التحدُّث إلى رقم «صفر» على نفس الرقم.
فقام أحمد بطلب الرقم مرَّة أخرى، فرد عليه رقم «صفر» قائلًا: أهلًا «أحمد» أهنئكم على النتيجة التي وصلتم إليها، ولكن أترى أن هذا كل ما في الأمر؟
أحمد: نعم يا سيدي.
رقم «صفر»: أنا لا أعتقد هذا، هل عثرتم على الطبيب المختفي؟
انتبه أحمد، وكان ناسيًا، وقال له: لا ... لم يحدث.
رقم «صفر»: وهل شاهدته «ريما» في مقر المنظمة المشبوهة؟
أحمد: لا أعرف.
رقم «صفر»: تأمين حياة هذا الرجل لا تقل أهمية في نظري عن القبض على رجال هذه المنظمة.
أحمد: سيحدث يا فندم!
رقم «صفر»: والشرطيان المختفيان؟
أحمد: أعتقد أنهم جميعًا ...
وهنا قاطعه رقم «صفر»، قائلًا: لا تعتقد، أنا أريد أن تتأكد.
أحمد: وهل سنؤجل موضوع الطائرة؟
رقم «صفر»: بالطبع لا، فالوضع في صحراء وادي النطرون خطير.
أحمد: أشكرك يا فندم.
رقم «صفر»: وفقكم الله!

وقبل أن يصل «أحمد» و«إلهام» إلى مطار الشياطين السري بهضبة الأهرام.

كانت طائرة المنظمة الهليكوبتر تقف هناك في حالة استعداد، وقائدها يقف بجوارها.

وما إن وصلا وتبادلوا جميعًا التحية حتى استقلوا الطائرة التي دارت محركاتها في سرعة شديدة، ثم تعلَّقت في الهواء كالنسر، وما لبثت أن ارتفعت فوق الفنادق والأبراج العالية، واستدارت لتتخذ الطريق إلى صحراء وادي النطرون.

وأثناء الطريق، انشغل كلٌّ منهما في تجهيز أسلحته وإعدادها للقتال المنتظر، والذي طلبت «إلهام» أن يكون بأقل عدد من القتلى.

وقد وعدها «أحمد» بذلك، ثم قام بالاتصال بـ «عثمان» طالبًا منه أن يظل على اتصال بهم ليحدِّد لهم المكان بدقة.

وبعد أقل من ثلث الساعة سمع كل الموجودين في مقر المنظمة المشبوهة صوت مروحة طائرة هليكوبتر، تقطع الهواء في حدَّة وتكرار سريع، وتدور في حلقات حول المقر، فخرج بعضهم يستطلع الأمر، فجهز «أحمد» بندقيته الآلية للإطلاق.

فقالت له «إلهام»: ليس الآن يا «أحمد»، لم يحدث اشتباك بعد.

أحمد: وهل سأنتظر حتى يحدث اشتباك؟

إلهام: ولكن لا تبدأ بالقتل.

أحمد: سنتركهم حتى يقتلوا أحدنا، أليس كذلك؟

إلهام: انتبه يا «أحمد»، فأحدهم يصوِّب على الطائرة.

وكان أحد رجالهم قد اعتلى قمة المبنى، وحمل مدفعه ووجهه إلى الطائرة، وأخذ يدور معها، ثم أطلق دفعة رشاش، لم تصب الطائرة، ولكنها جعلتها تهتز.

فأطلق أحمد دفعة من رشاشه أردَتْه قتيلًا وهو يقول: رقم واحد.

وفي هذه اللحظة، اعتلى المبنى أكثر من رجل يوجِّهون بنادقهم إلى الطائرة.

فطلب أحمد من قائدها الاصطدام بهم.

وبالفعل، دار القائد دورة واسعة حول المبنى، ثم عاد إليه في خط مستقيم وسرعة عالية لم تمكِّن الرجال من استخدام بنادقهم.

فاصطدمت ببعضهم، فأسقطهم من فوق المبنى.

واختلَّ اتزان البعض الآخَر، فسقط معهم.

وكان «عثمان» يتابع كلَّ ذلك مترقبًا خروج الرءوس الكبيرة.

ولكن مرَّ الوقت، ولم يخرج أحدهم، حتى «ريما» لم يرَها أحد منهم.

وكأنما أخافتهم الطائرة، فقبعوا في أماكنهم حتى يتم القضاء عليها، أو أن ترحل.

ولم يجد «عثمان» مفرًّا من أن يتصل بـ «ريما» ويطلب منها سرعة الخروج.

وقام بالاتصال بـ «أحمد»، وقال له: لن يخرجوا برغبتهم، فما رأيك في إخراجهم بالقوة؟

نهاية العملية!

وافق «أحمد» على اقتراح «عثمان»، وكان عليه تأمين خروج «ريما» من المقر، فقام بالدوران بالطائرة حوله في دورات متتابعة. وأثناء ذلك لم تنقطع الطلقات من مدفعه ولا مدفع «إلهام».

فأصاب رجال المنظمة الهلع، ولم ينتبهوا لـ «ريما» وهي تخرج من مكمنها وتجرى في اتجاه الباب الخلفي للمقر.

ولمحَها «أحمد» من الطائرة وهي تبتعد عن المبنى، فطلب من قائد الطائرة أن يمكِّنه من الْتِقاطها.

غير أن طلقات تناثرَت حولها ولم تُصِبها جعلتها تنبطح أرضًا.

فبحث «أحمد» عن مصدر هذه الطلقات، فوجد شابًّا يسقط من أعلى مبنى المنظمة، فقد أصابته كرة «عثمان» الجهنمية في رأسه.

ومرَّة أخرى نهضت «ريما»، وجرت مبتعدة عن مرمى النيران.

فدارت الطائرة دورة واسعة، ثم هبطت لتلتقط «ريما»، فانهالت النيران عليها من كل مكان، فعادت للصعود مرة أخرى.

ورأى «عثمان» أن يتحرَّك ليلتقطها بالسيارة أثناء انشغالهم بالطائرة.

فاتصل بـ «أحمد»، وقال له: اشغلهم أنت، وسألتقطها أنا.

وفهمَ «أحمد» أن المطلوب منه هو أن يكثِّف نيرانه عليهم، وهذا ما حدث.

وفي هذه الأثناء، انطلق «عثمان» بسيارته حتى اقترب من «ريما».

وصفر في الهواء صاروخ صغير، ثم أصاب السيارة في مؤخرتها.

ودوَّى في المكان صوت انفجار رهيب، وتناثرت أشلاء السيارة في كل مكان.

ولولا أن «عثمان» كان قد قفز منها حين لمح الصاروخ ما نجا من هذا الحادث، وأصبح هو الآخَر في العراء مثل «ريما».

وأصبحت حمايتهما عبئًا على «أحمد».

ورأى أنه لا مفر من استخدام العنف، وطلب من قائد الطائرة أن يقوم بمناورات حول المبنى.

وطلب من «إلهام» أن تُخرج فوهة بندقيتها من النافذة المجاورة لها، وأن تصوِّب على الهدف، على أن تصيبه ... لا للتهديد فقط.

وقام هو بإخراج ماسورة مدفعه من النافذة الأخرى، ثم طلب من قائد الطائرة أن يبتعد بها قدر المستطاع، ثم ينقض عليهم في خط مستقيم.

وكأنما فهم رجال المنظمة الخطة، فقد انتهزوا فرصة ابتعاد الطائرة، وتسلَّلوا إلى سياراتهم في سرعة، وعند عودة الطائرة كان سرب السيارات يتحرَّك متوغِّلًا في الصحراء.

فطلب «أحمد» من قائدها الهبوط لالتقاط «عثمان» و«ريما» أولًا.

ولم تستغرق هذه المهمة سوى ثوانٍ معدودة، عادت بعدها الطائرة للارتفاع عاليًا، وتنفيذًا لأوامر «أحمد» انطلقت في سرعة رهيبة حتى سبقت السيارات، ثم استدارت حتى واجهتهم، وانطلقت أكثر من دفعة رشاش، أصابت إحدى سياراتهم، فقلبتها على جنبها.

فجُنَّ جنون سائقي بقية السيارات، وانطلقوا بها، تاركين ركاب المقلوبة يلاقون مصيرهم.

فأمر «أحمد» قائد الطائرة بالهبوط لالتقاطهم، فهبطت الطائرة، وتوقفت بجوارها.

ونزل «أحمد» يستطلع أخبار مَن بها، فأمسك أحدهم بياقة قميصه، وكاد يخنقه، فتخلَّص منه بصعوبة، ثم صعد إلى الطائرة، وطلب من قائدها الصعود.

وانتظر حتى أصبحوا في الهواء، فأطلق عليها صاروخًا صغيرًا.

فدوَّى صوت انفجار رهيب في أرجاء المكان.

ثم استدارت الطائرة لتحلِّق بقية السيارات.

وكانت قد ابتعدت، ولم يعُد لها أثر.

ودارت الطائرة في حلقات متلاحقة بحثًا عنها، ولكنهم لم يجدوها.

ولاحظ «عثمان» أثناء تحليقهم منخفضًا تُحيطه الأشجار الكثيفة.

فطلب من قائد الطائرة الهبوط إلى جواره، وما إنْ حطَّت الطائرة حتى حملوا مدافعهم، وتقدموا ببطء من حافة المنخفض، فرأوا السيارات تختبئ تحت ظل الأشجار.

فأطلق «أحمد» صاروخًا انطلق بالقرب منها، فخرج كلُّ مَن بها، رافعًا يدَيه مستسلمًا.

فطلب منهم «أحمد» أن يعودوا إلى سيارتهم بعد أن يلقوا أسلحتهم.

وأن يسيروا في حراستهم حتى يعودوا إلى «القاهرة»، وخلف السيارات طارت الطائرة تحرس أخطر منظمة استهدفت أمن الوطن حتى أسلموهم إلى رجال الأمن.

وتلقوا تهنئة من رقم «صفر».

هنـــداوي